آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

(٧)

دعا الصوفية إذن إلى العلم ، ولكن دعوا إليه بشروطه التى تهدى ولا تضل ، دعوا إلى العلم النافع الموصل إلى حضرة الحق ، واعتبروه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فكل باب من العلم يصل إلى الله بمعرفته فرض عين ، وكل باب يبعدعن الله فالأحتراز منه واجب ؛ ولذلك كان الصوفية وتلاميذهم فى عصمة من الزلل وفى مأمن من العثرات .

من لنا فى مدارسنا بمناهج الصوفية وتعاليمهم ؟ نعم . فما أحوجنا فى حجرات الدروس إلى طالب يعرف حق أستاذه فيحترمه وحق درسه فيقدسه وحق واجبه فيؤديه ! ما أحوجنا إلى طالب يكون كل غايته الوصول إلى الحقيقة فيناقش بأدب ، ويجادل لغاية كريمة ، فإما أقنع وإما اقتنع !

نحن فى حاجة إلى منهج يحفظ للدين روعته وجلاله ، ويخلق من الطلاب رجالا مثاليين صالحين لتوجيه أنفسهم وتوجيه أجيال تأتى من بعدهم : أما هذه الليونة فى الأخلاق التى تحب التقليد الأعمى ، وتتأثر بالتيارات المختلفة ، وتعشق كل جديد ولو كان ضارا فلا غناء للوطن فيها .

ولقائل أن يقول : هذا دور المعلم لا المنهج ، وأنا معه فى ذلك فنحن أيضا فى حاجة إلى ذلك المعلم الحكيم الذى يفهم رسالته حق الفهم ، ويقدس مهنته ، ويدرك تماما أنها رسالة الأنبياء ، وأن دور المعلم فى منتهى الخطورة ، فعليه أن يسمو بفنه ومهنته فوق مستوى المادة ؛ حتى يكون غرسه فى تلاميذه ميمون الجنى مبارك الثمرات ، وعليه أيضا أن يعرف أن مهمته لا تنتهى بانتهاء يومه الدراسى ، بل

بالعكس ، فربما تبدأ مهمته بعد انتهاء اليوم الدراسى ، وإنى لأذكر أيام أن كنت مدرسا فى المنيا طالبا حاور أساتذته كثيراً فى وجود الله ، فما كان من زميلنا الأستاذ « حسنى طه شكيبان » إلا أن عقد ندوة بعد انتهاء اليوم الدراسى ، ودعا إليها كثيراً من رجال العلم والأدب ، وألقى محاضرة قيمة موضوعها « أرنى الله » تحدث فيها عن هذه القوة الأزلية الخالدة ، التى صار فيها كثير من الفلاسفة والمفكرين ، وانتهى عن طريق الأمثلة الحية المحسوسة ، والنقاش العقلى المثمر ، إلى أن أقتنع هذا الطالب اقتناعا تاما . بعد أن كان شاكا تماماً .

فمثل هذا المعلم يعتبر مكملا للمنهج إذا ماوجد فيه نقص ، ولكن ما العمل إذا افتقرنا إلى مثل هذا المعلم ؟ لابد إذن أن يكون منهجنا كاملا من الأصل . لابد أن يشتمل منهج المدرسة الإبتدائية على نصوص كثيرة من آدب القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأمثلة عملية من سيرة الأنبياء والصالحين ..

إن الآيات المدروسة والمحفوظة من القرآن الكريم فى تلك المرحلة لا تتجاوز الخمسين آية إلا قليلا ، وليس هناك حديث شريف واحد . مع أن هذه المرحلة هى مرحلة الحفظ والتكوين . حيث تكون الذاكرة أشد ، والحافظة أقوى ، وإننا لا زلنا نذكر كيف تمكنا قديما من أن نحفظ القرآن الكريم كله فى المرحلة الاولى .

ولقد خطت محافظة المنوفية خطوة مباركة فقررت تدريس القرآن كله فى مدارسها على اختلاف مراحلها وانتظرنا أن تخطو بقية المحافظات مثل هذه الخطوة ، وتحتذى حذوها ؛ ولكننا لم نجد هذه الخطوة ولئن صح ذلك لكان هذا وعيا جليلا ولفتة كريمة إلى ذلك التراث الصوفى فى التربية والتهذيب .

ويا حبذا لو أصبحت التربية الدينية والخلقية مادة أساسية فى جميع صفوف المدارس الإعدادية والثانوية بما فى ذلك السنوات النهائية منها ؛ ولا يكتفى فى ذلك بالصف الأول والثانى فقط . كما هو متبع الآن .

فإن الطالب يؤدى امتحان التربية الدينية فى الصفين الأولين ولا يؤديه فى الصف الثالث . ومادام الطالب يدرك أن هذه المادة ليست ضمن المواد التى سيمتحن

فيها فى الشهادة فمعنى ذلك أنه لا أهمية لها بالنسبة له ؛ وبذلك يضيع كل مجهود عبثا فى تدريسها فى الصفين السابقين . وإذاً يجب أن يعقد فيها امتحان آخر كل عام وتكون درجة النجاح لا تقل عن ٥٠٪ من النهاية الكبرى ؛ مع تكليف الطلاب والطالبات تقديم البحوث الدينية والخلقية ؛ ودراسة الشخصيات التى كان لها أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام ، والإصلاح الإجتماعى ، والتصوف من أمثال الخلفاء الراشدين . وعمر بن عبد العزيز وخالد بن الوليد والغزالى ومحمد عبده وجمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل وأحمد عرابى وغيرهم .

وقد اتبعنا هذه الطريقة فى تدريسنا فكان لها أوضح الأثر فى زيادة الوعى الدينى وإيقاظ الروح الخلقية والقومية .

ثم لماذا لا يدرس التراث الصوفى فى المعاهد الدينية ، إن الأزهر فى تطوره الجديد جدير بأن يدخل فى حسابه دراسة تاريخ التصوف وأصوله وقواعده ومواجيده وآثاره ورجاله ، وعليه ألا ينسى كما نسى فى الماضى هذا التراث الخالد الذى كان له أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام وفى السمو الروحى والخلقى ، وفى خلق أذواق عالية لا يدركها إلا قوم صفت أرواحهم ، ورقت أذهانهم وخلصت نفوسهم فانقطعت من الخلق إلى الحق . وتمكنت من أن تدرك أسرارا حيرت العقول ، وقصرت دونها الأوهام والأفهام .

ولماذا لا يحذو الأزهر حذو كبرى الجامعات فى الشرق والغرب التى أفردت للتصوف كراسى وأساتذة ورصدت له أجهزة كبيرة من نتائجها مالا يحصى كثرة كتباً وبحوثا ورسالات فياضه بكل عظيم وجليل .

ولقد نادى كثير من رجال الفكر والأدب بضرورة دراسة التصوف فى الأزهر ؛ لأنه من صميم رسالته ، ولكن ذهبت هذه الصيحات أدراج الرياح . فلعلنا ونحن على أبواب نهضة حديثة متطورة يكون لهذه الصيحات صداها المطلوب ، وتشرق شمس التصوف من جديد فى أروقة الأزهر وأبهائه . وبذلك تعود المياه إلى مجاريها .

أقول : إنه بالرجوع إلى هذه التربية الدينية والثقافة الروحية . نقى أولادنا شر الاشرار ونحفظ عقولهم من هذه التيارات المنحرفة لأننا تمكنا من تحصينهم بذلك النور الأزلى الذى ينادى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » فيمضون يبحثون ويكتشفون ويخترعون ويشقون الفضاء ؛ ويخترقون أجواز السماء تحرسهم عناية الله ؛ حيث وجدوا من وراء ذلك تأييداً ؛ ودليلا جديداً ؛ على قوة واجب الوجود وحكمته ومقدرته ؛ وبذلك يحققون معنى ذلك القول الخالد » « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ؛ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ؛ إنه كان حليما غفورا » .

تعيينات

اعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية .

١ — تعيين الشيخ محمد السيد على الشهير بعبد الناصر خليفة خلفاء الطريقة السادة الأحمدية التسقيانية بقسم أول أسيوط .

٢ — الشيخ إبراهيم على عبد الحى نائباً للطريقة السمانية الخلوتية عن نقطة المناشى .

٣ — الشيخ نادى محمد أحمد نائباً لطريقة السادة البيومية بمحافظتى الفيوم وبنى سويف وبندر الفيوم .

٤ — الشيخ عبد الفتاح محمد أيوب نقيباً للطريقة البيومية بمحافظتى بنى سويف والفيوم .